العرب
الجمعة 2021/02/05
السنة 43 العدد 11962

«ريما» و«فيرس».. تعدّدت التجارب والفشل واحد

سينما الرعب في مصر تواصل الدوران في خانة التقليد

تحاول السينما المصرية طرق أبواب عالم الرعب باستمرار لمواكبة تغير ذائقة الجمهور، رغم ميراث ثقيل من الفشل لازم تلك النوعية من الأعمال طوال تاريخها، مع استثناءات قليلة، حاولت أن تحافظ على جودة المنتج ومنطقيته وقيمته الفنية.

محمد عبدالهادي
كاتب مصري

الأداء أحد أسرار النجاح النسبي لفيلم «الفيل الأزرق»

القاهرة – عرضت دور السينما المصرية أخيرا فيلمي "ريما" و"فيرس"، آخر حبات الأعمال التي تدرج وفقا لمفهوم أصحابها ضمن عقد أفلام الرعب، غير أن الأول لم يحقّق إلا ألفي دولار يوميا منذ طرحه في ليلة رأس السنة، أما الثاني فكان أتعس حظا، حيث لم يتمكّن في أحد أيام عرضه من بيع ولو تذكرة واحدة.

وتستعد آلات التصوير حاليا لالتقاط مشاهد عملين كلاهما يخلط الرعب بالإثارة، أولهما بعنوان "ليلة في الجحيم" للفنان محمد نجاتي، والثاني "ليلة الهالوين" الذي لم يتم اختيار فريقه التمثيلي بعدُ، لكن القائمين عليه يحاولون توظيف السياقات المرعبة التقليدية فيه لجذب الجمهور إلى المشاهدة.

لماذا لا تتعدّى أعمال الرعب المصرية حاجز التجريب؟ أصبح ذلك السؤال ملحا حين نتعقّب المسار التاريخي لتلك النوعية من الأعمال التي بدأت منذ الأربعينات بفيلم "سفير جهنم" للفنان يوسف وهبي، ولم يكتب له النجاح، وقد صادفت غالبية هذه الأعمال المشكلة ذاتها، حيث أخفقت في كسر حاجز الفشل السابق.

وتعاني الأعمال المصرية من داء مزمن يتعلق بالإسراف في التقليد الغربي، رغم ارتباط الخوف بالبيئة التي ينشأ فيها، فالحديث عن "صاحب القدم المسلوخة" المستمد من أسطورة فرعونية قديمة يفزع أطفال مصر منذ زمن طويل، لكنه ربما يثير ضحك نظرائهم في السن بأماكن أخرى من العالم.

أنياب غائبة

رغم الجهد المبذول في الأعمال الفنية العديدة، غير أن محاولة "المصرنة" تنجب جنينا فنيا مشوّها، لا يجاري العمل الأصلي في حبكته أو تقنية إنتاجه، ولا يوظف السياقات المحلية الملتصقة بحياة الجماهير، ففي فيلم "الدساس" حاول طاقمه استحداث آكلي لحوم بشر محليين "زومبي"، وفي "كامب" لا يتعدّى الأمر تحريفا غير مستساغ من سلسلة "الصرخة" وكلاهما لا يتماشى مع السياقات المحلية للفزع.

ولا يمل القائمون على السينما المصرية من خلق زواج بين الإثارة والرعب، والمساواة بينهما كأنهما فن واحد، واخترقوا الخط الرفيع الذي يحكم كيفية وضع شيفرات العمل الأساسية وطريقة توليد الأحداث، فالجمهور ينتظر من الأعمال المثيرة مفاجآت غير متوقعة لا تخطر بالعقل، ويبحث في سينما الفزع عن جرعات من الأدرينالين تصيب أوصاله بالقشعريرة حتى لو تماشت الأحداث مع توقعاته.

وتلعب أسماء فريق العمل دورا مهما في نجاح أعمال الرعب، وكانت هي السر وراء نجاح فيلم "الإنس والجن" الذي يصنّف ضمن الأفضل بضمه عادل إمام ويسرا وعزت العلايلي، ورغم سذاجة نهايته التي تضمنت طرد الشيطان بآية قرآنية واحدة بعد تسعين دقيقة من المشاهدة، ودون الإجابة عن سؤال: لماذا لم تتل البطلة القرآن منذ اللحظة الأولى وتريحُنا طالما أن الأمر سهل؟

ويؤكّد الناقد الفني طارق الشناوي، لـ"العرب"، أن تجارب السينما المصرية والعربية أيضا في ما يتعلق بالرعب لم تكلّل بالنجاح لاعتبارات كثيرة، أهمها غياب الكفاءات البشرية القادرة على التعامل مع التقنيات اللازمة لإخراج فيلم جيد ومتكامل.

ويعتبر الجزء الثاني من فيلم "الفيل الأزرق" استثناء لأفلام الرعب بعدما توافرت في إنتاجه عناصر لم تتحقّق لسابقيه، بفريق كبير من نجوم الصف الأول مثل كريم عبدالعزيز وهند صبري ونيللي كريم وخالد الصاوي، وإنتاج ضخم صرف بسخاء عليه وعلى عناصر الخدع السينمائية والمؤثرات الصوتية التي تماشت مع الأحداث بذكاء.

ويؤكّد الشناوي أن "122" بطولة طارق لطفي وأحمد الفيشاوي و"الفيل الأزرق" أكثر عملين مصريين اقتربا من الرعب، لكن دون الوصول إلى مستوى متكامل.

ونجح الجزء الثاني من "الفيل الأزرق" في الجمع بين أعمال الرعب والتشويق بذكاء فحافظ على الخط المعتاد لقصص الرعب والمعروف من البداية بانتصار قوى الخير على الشر دون الانغماس في الأسلوب الخطابي، والإثارة بما تضمه أحداث غير متوقعة، والتقلبات المتعمقة داخل النفس البشرية، مع لمسات خفيفة من الكوميديا كسرت بين الحين والآخر تسارع نبضات الجمهور.

أشباح وأرواح

لم ينج "الفيل الأزرق" من اتهامات بالاقتباس من السينما الغربية في توظيف الوشم للتدليل على انتشار العفريت في الجسد بصورة شبيهة بشجرة اللبلاب، واقتربت كثيرا ممّا جاء في الفيلم الأميركي "الوشم" الذي عرض قبل 13 عاما.

تخطى الفيلم المشكلة المعتادة في أعمال الرعب المصرية بالاعتماد على الإعداد الموسيقي دون التأليف الذي يجعلها متشابهة، واستطاع عبر الموسيقار هشام نزيه خلق مزاوجة بين الرؤية البصرية والحالة السمعية التي تواكب معها الإعداد الجيّد للملابس ما جعل العمل لوحة فنية جيدة على مستوى الصوت والصورة.

وأوضح الشناوي، أن المحاولات المستمرة لإيجاد رعب محلي سببها وجود حجم طلب كبير من الجمهور على هذه البضاعة، ففي أي دار عرض سينمائية محلية لا تخلو قائمة أفلامها من اثنين على الأقل للرعب الأميركي من أصل ستة أعمال معروضة، ما يدفع المنتجين إلى إيجاد رعب محلي تلبية لذلك النهم.

وتشير إيرادات الأفلام الأميركية إلى تفضيل المشاهد المصري لنوعيات الرعب الأجنبي، مثل فيلم "الرجل الخفي"، الذي سجل خلال الأسابيع الأولى لطرحه في مصر 382 ألف دولار رغم جائحة كورونا، و"نحن" الذي حقق عام 2019 نحو 220 ألف دولار، بينما سجل "الجوكر" في شهر ونصف الشهر 2.5 مليون دولار.

وتبدو المشكلة الأساسية في السينما المصرية عموما بتخصيص الجزء الأكبر من ميزانية العمل لرواتب الممثلين الكبار، وترك الباقي لعناصر العمل الأخرى، ما يؤدّي إلى صورة غير جيدة، ويظهر الأمر جليا في أعمال الرعب لارتباط نجاحها بتوافر تلك العناصر.

ويسعى البعض من المنتجين المصريين إلى إيجاد منفذ مع شبكات البث الرقمي التي تعرض تلك النوعية من الأعمال، رغم تيّقنهم من أن المواطن العربي يجد ما يفضله في المنتج الأميركي لعوامل تتعلّق بالجودة والإمكانيات التمثيلية والفنية.

يفضل أغلب المنتجين المصريين قصص "الكادر الواحد"، التي يتم فيها تجميع فريق العمل في مكان معيّن، دون تكاليف للانتقال أو لتحركات فرق التصوير، ما جعل غالبية الأعمال المحلية تدور حول المنازل المسكونة بداية من "القصر الملعون" و"التعويذة" عن بيت يحترق أثاثه دون فاعل، أو بناية تقطنها الأشباح والعفاريت، أو شيخ يطالب تلاميذه بالإقامة في منزله 30 يوما.

ويميل البعض من المؤلفين إلى استنباط وإعادة إنتاج الكثير من المعاني والمضامين التشويقية من كتاب الأديب الراحل أنيس منصور "أشباح وأرواح"، الذي حقّق شهرة كبيرة في مصر عند صدوره، لأنه لامس ظواهر مثيرة ومليئة بالرعب.

«فيرس» أول فيلم مصري يسجل صفر إيرادات في أحد أيام عرضه، في سابقة هي الأولى من نوعها

وأوضح الناقد الفني إلهامي سمير، أن السينما المصرية تسير في دائرة مفرغة في تناولها الرعب، فرغم تطوير التصوير والغرافيك لكنها تفتقر لأبسط الأساسيات في تقديم المحتوى الذي يأتي أحيانا بصورة مضحكة وليست مخيفة، مع غياب توظيف الكاميرات في القصة التي يمكنها أن تخلق الفزع بالتحكّم في سرعتها وتنقلاتها.

ورغم فيض التراث المصري بقصص مغرية يمكن تحويلها إلى رعب بسهولة كـ"الأم الغولة"، المرأة التي لم تنجب فقرّرت التهام أبناء الآخرين، أو "النداهة" التي تتجسّد في صورة فتاة حسناء عذبة الصوت تنادي الرجال وتهوي بهم في قاع الأنهار، لكن الإنتاج يصرّ على حبس نفسه في جدل الشيطان والإنسان والمنزل المسكون.

ويحتاج منتجو أفلام الرعب المحلية إلى المخاطرة بجعل القصص النابعة من الواقع وسيلة مرور لأحلامهم بإنتاج أعمال جديدة تلبي نهم الراغبين في الفزع، والتحرّر من التجارب المستوردة التي لن يستطيعوا مجاراتها، حيث إن الخوف سلوك مكتسب من البيئة.

فيلم «ريما» لم يتمكن من جذب الجمهور إلى شباك التذاكر

«ميلكميد» فيلم نيجيري عن تمرد الإسلاميين يطمح لنيل الأوسكار

قبل عشر سنوات، حوّل النيجيري ديزموند أوفبياجلي مسار حياته المهنية وترك مجال الأعمال المصرفية الاستثمارية، واضعا نصب عينيه تحويل حلمه باقتحام الإخراج السينمائي إلى حقيقة. والآن، وبعد أن أصبح مخرجا، ينافس فيلمه "ميلكميد" عن تمرّد الإسلاميين في بلاده على جائزة أوسكار أحسن فيلم أجنبي.

لاغوس – تدور أحداث فيلم "ميلكميد" للمخرج النيجيري ديزموند أوفبياجلي حول شقيقتين خطفهما مسلحون من قريتهما في هجوم دموي بشمال شرق نيجيريا.

ويتتبّع الفيلم الذي رشّحته نيجيريا للمنافسة على جائزة أوسكار أحسن فيلم أجنبي، قصة الشقيقتين عائشة (أنتونيتا كالونتا) وزينب (مريم بوث)، اللتين انفصلتا عندما هاجم المتمرّدون قريتهما. فتصمّم عائشة على إنقاذ زينب من آسريها وتتّبع مكان وجودها في معسكر العدو، حيث يتم استعبادها ومعاملتها بطريقة غير إنسانية.

وقال أوفبياجلي، الذي كتب الفيلم وأخرجه "مجرد الوصول إلى هذا الحد، هو تشجيع كبير لمنتجي الأفلام الذين لا يريدون بالضرورة إنتاج قصص تجارية".

وأودى تمرّد جماعة بوكو حرام المسلحة بأرواح أكثر من 30 ألف شخص وأرغم نحو مليونين على الفرار من ديارهم منذ عام 2009. واكتسبت الجماعة سمعة سيئة في العالم كله في عام 2014 عندما خطفت أكثر من 270 تلميذة في بلدة شيبوك الشمالية الشرقية.

وقال أوفبياجلي "كنت أشعر أن من المهم أن نرسم بعض القصص وبعض الشخصيات لكل الضحايا الذين يشار إليهم في شكل أرقام".

ومن خلال معالجته لقضايا حساسة مثل التطرف الديني والعنف، واجه الفيلم الرقابة بشكل متوقع، حيث رفض مجلس الرقابة على الأفلام والفيديو النيجيري، وهو الوكالة الحكومية المكلفة بتنظيم وإنشاء وتوزيع وعرض الأفلام ومنتجات الفيديو تصنيف الفيلم، لأنه شعر أنه يصوّر الإسلام على أنه عامل تمكين للتطرف الديني.

وللحصول على تصنيف للفحص في نيجيريا، تم قطع مقطع فيديو مدته 24 دقيقة من النسخة الأصلية للمخرج، وعنها قال أوفبياجلي "كان علينا إزالة كل شيء.. الزي والحوار واللغة التي كانت تصويرا حقيقيا لدين معين، على الرغم من عدم وجود شيء في الفيلم يشير إلى أن الدين مسؤول بشكل مباشر عن العنف".

و"ميلكميد" لا يوحي بأن الإسلام يلهم التطرّف، كما أنه لا يمجّد الإرهابيين، بل إنه يستخرج التجارب المؤلمة التي مرّت بها النساء والفتيات في عالم أفسده التمرّد.

وكانت الرقابة متوقعة على الفيلم، مع الأخذ في الاعتبار تاريخ مجلس الرقابة على الأفلام والفيديو النيجيري في خنق الحرية الفنية، مع خوفه من أن يهدّد العمل الوحدة الوطنية.

وعلى الرغم من أن الفيلم لم يتم إطلاقه على نطاق واسع إلى حد الآن، إلاّ أن استجابة أفراد الجالية المسلمة الذين شاهدوه في عروض خاصة كانت إيجابية.

وبسبب الرقابة المحلية تحوّل الفيلم إلى الكاميرون وزيمبابوي لإطلاقه بدور العرض في نوفمبر الماضي، ثم ذهب في جولة محدودة في دور السينما النيجيرية المختارة، ومن هناك اكتسب العمل ضجة محلية وأفريقية.

وفاز الفيلم بالفعل بخمس من جوائز الأكاديمية الأفريقية للأفلام، بما في ذلك جائزة أفضل فيلم. وعلى الرغم من أن نيجيريا بلد يتحدّث الإنجليزية، إلاّ أن الفيلم يملك مؤهلات المنافسة على جائزة أوسكار لأفضل فيلم أجنبي، ذلك لأن الشخصيات تتحدّث إلى بعضها البعض بلغات الهوسا والعربية ولغة فولفولدي المحلية.

وبالنسبة إلى جوائز الأوسكار، أرسل أوفبياجلي النسخة الأصلية للفيلم، والتي تحتوي على جميع عناصر الفوز المحتملة: قصة مقنعة، وأداء ممثلين آسر، وتصوير سينمائي بارع.

ومن خلال معالجة المخرج الماهرة للكاميرا يمكن للجماهير أن ترى كيف يتشابك الجمال بشدة مع العنف، ممّا يخلق مزيجا فنيا مذهلا. وقد تم تعريف هذه اللغة المرئية من خلال التصوير السينمائي الواضح ليانكا إدواردز الذي لا يقتصر تفصيله الفني على المشهد فحسب، بل أيضا داخل المساحات الشخصية لأبطال الفيلم.

ديزموند أوفبياجلي

نجاح الفيلم سيسلط الأضواء على محنة الضحايا المختفين

وبصرف النظر عن الجدارة الفنية الواضحة، سيتم تحديد مصير أوسكار "ميلكميد" من خلال كيفية رؤية ناخبي الأكاديمية الذين يمثلون الجمهور الأميركي لرسائل مكافحة الإرهاب بعد ما يقرب من 20 عاما من بدء الولايات المتحدة "الحرب على الإرهاب".

وعلى الرغم من أن الفيلم لا يعالج الجانب الدولي لتمرّد بوكو حرام، إلا أنه يتناسب تماما مع السرد الأميركي السائد حول الإرهاب، ومن المتوقّع أن تغذي قصته ازدراء المشاهدين الأميركيين للجماعات الإرهابية في الخارج، ومن المحتمل أن يتم استقباله بشكل جيد.

وقالت أنثونيتا كالونتا، وهي من أبطال الفيلم، إنها تأمل في أن يرى الحكام الذين يحكمون على "ميلكميد" أن القصة يتم تقديمها من "منظور جميل جدا"، بصرف النظر عن مادة الفيلم وموضوعه.

أما أوفبياجلي، فيرى أن نجاح الفيلم سيسلط الأضواء على محنة الضحايا المختفين. ويقول "ضحايا التمرّد لم ينالوا الاهتمام الذي أشعر أنهم يستحقونه بالفعل".

وستعلن أكاديمية الفنون والعلوم السينمائية ترشيحاتها لجوائز الأوسكار في الخامس عشر من مارس القادم.

كن سعيدات إلى أن وقعن في الأسر